المحاضرة الخامسة: المدرسة الطبيعية (الفزيوقراطية)

يعتبر عمومًا أن الإقتصـاد كعلم يرجع إلى أفكار الفزيوقراطيون بحيث أنهم وفروا ولأول مخطط مفاهيميا يعبرون فيه عن الدورة الإقتصـادية التي تعرفها طبقات المجمع، بالإضـافة إلى دعوتهم للحرية الإقتصادية وإبعاد الدولة عن أي شكل من أشكال التدخل.

أولا :مفهوم المدرسة الفزيوقراطية وأهم روادها.

.1تعريف المدرسة الفزيوقراطية:

الفزيوقراطية عبارة عن مذهب نشـأ في فرنسـا في القرن الثامن عشـر على يد المفكر **"فرنسـوا كنيه"**، وقد اسـتندت المدرسـة الفزيوقراطية في تحليلها على التدفقات بدل من الكميات . حيث اسـتطاع مفكروا هذه المدرسة من تأسيسها بأسلوب مختلف المعايير عن أفكار التجاريين وكما أعطت مفهوم مغاير وحديث للثروة، كما أنها كانت تنادي بالرجوع إلى الطبيعة وتطبيق القانون الطبيعي بدلاً من القوانين الوضعية.

وقد كان الالتزام الأسـاسـي الفزيوقراطيين هو تجاه هذا المفهوم (القانون الطبيعي)، لأنه على حسبظنهم هو من كان يحكم السلوك الإقتصادي والاجتماعي .

.2دوافع قيام المذهب الفزيوقراطي في فرنسا:

هناك مجموعة من الدوافع أدت بهذا التيار للظهور في فرنسا قبل غيرها:

أ-نجاح سياسـة التجاريين في تحقيق النمو الإقتصـادي في فرنسـا :حيث فشلت السياسـة الإقتصـادية التي "رسمها **كولبيرت** المبنية على الصـناعة والتهميش الشبه كلي للزراعة، فعلى المستوى الإقتصـادي" خرج النشـاط الزراعي على الإنتاج وبقي له دور هامشـي (الحاجة المحلية) ووقع ضـحية متعمدة من **كولبيرت** لحساب الصـناعة ثم لم تطبق النظم لتسيير التجارة والصـناعة كما ينبغي وبهذا الأمر يمكن القول تقليص النشاط الزراعي بشكل مفتعل، ووقع ضحية متعمدة لحساب الصناعة".

ب- اقتصـار تداول الحبوب على التجارة الداخلية فقط أي بين المدن في الداخل مما أدى إلى انخفاض سعر المنتجات الزراعية وإهمال قطاعات واسـعة من الأراضـي الزراعية رافقها عرقلة هجرة الفلاحين نحو المدن مما دفع إلى أصوات مطالبة بالإصلاح .

ج- حركة التوتر التي عرفتها القارة الأوربية والتي سـاعدت على ظهور خيارات فكرية وفلسـفية واقتصـادية جديدة مغايرة تمامًا لأفكار ومعتقدات العصـر الإقطاعي الذي عرفته القارة هذه الحركة الفكرية والفلسـفية الجديدة سـاهمت بشـكل كبير في تطوير العلوم الطبيعية والاجتماعية، توجت ببناء نظريات اجتماعية وإبعاد الأفكار الميتافيزقية واللاهوتية القديمة التي صـبغت عصـر الإقطاع، والتي فرح فلاسـفة عصـر التنوير بها ولم ينزعجوا لفقدانها فقد: **"انهارت القيم القديمة، هذا أمر غير مأسوف عليه، لنضـع لأنفسـنا قيما جديدة أخرى غير القيم الميتافيزقية"** مما أعطى لأفكار الإقتصـادية **فرصـة للخروج من معتقدات الماضي.**

3-أهم رواد المدرسة الفزيوقراطية:

أفكار المدرسة الفزيوقراطية مرتبطة بموقف مشترك مرتبطة بالفرد، إلا أن ثلاثة من مفكري هذه المدرسة كان لهم تفوق واضح وجلي:

أ- فرانسوا كينيه (1694-1774):

يعتبر **فرانسوا كينيه (Francois Quesnary)** زعيم المدرسة الفزيوقراطية، بدأ اهتمامه بعلم الإقتصاد في سن (الثانية والستين 62 سنة)، وفي ذلك السن كان يعتبر من أشهر الأطباء في فرنسا، وقد تقلد منصب سكرتير أكاديمية الجراحة في باريس، مما رفع مرتبته سياسيًا واجتماعا، وقد أصبح في سنة 1749الطبيب الشخصي للسيدة **جين أنطوانيت بواسون ماركيزدي بومبا دور** والتي تعرف باسم **مدام دي نومبا دور**، ومنذ ذلك الوقت عاش في قصر فرساي حيث شغل سنة 1755 منصب طبيب لوبس الخامس عشر نفسه.

ب -روبير جاك تورجو (1728-1781):

يعتبر **روبير جاك تورج (Anne Robert Jacques Turgot)** من الاقتصـــاديين اللذين لم يتنكرو من أصـــحاب النزعة التجارية خاصـــة وأنه ابن تاجر غني، وقد اعتبر من أكبر المدافعين عن مصـــلحة التجار، تحولت إليه الأنظار عندما كان عمدة **لميناء ليموج** -للإشـــارة تعتبر هذه المقاطعة أفقر مقاطعات فرنسا- وبناءً على فقر المنطقة قام بمجموعة من الإصلاحات هدفت إلى تشجيع الزراعة، ودعم التجارة المحلية، وتحسين وسائل وطرق المواصلات والحد من المظالم الضريبية.

تم تعيينه سنة 1774 مراقبا للحسابات وزيرا للمالية من قبل **الملك لويس السادس عشر**، إلا أنه عزل من هذين المنصـبين نتيجة السـياسـات التي فرضـها، منها تأييده للتقشـف في المصـروفات الملكية وغيرها من المصـروفات العامة، وللإصـلاح الضـريبي والتجارة الحرة في الجنوب داخل فرنسـا، وإلغاء الوظائف العامة التي يحصـــل أصـــحابها على أجور ومرتبات دون عمل مقابل، من ثم عاد إلى الاهتمام بالفكر الإقتصادي وإدارته الظواهر الإقتصادية.

ج - بيير صمويل ديبون دي نيمور: (1739-1817)

:يعتبر **بيير صـــمويل دي نيمور(Pierre Samuel du Pont Nemours)** كـاتـب ومفكر اقتصـادي الفزيوقراطي ومسـؤول حكومي فرنسـي، قام بعد توليه رئاسـة تحرير مجلة متخصـصـة في زراعة والكتابة في مواضـع سـياسـية، بتجميع بعض أعمال **فرنسـوا كينية** تحت **عنوان الفزيوقراطية**، "والذي من الواضح أنه جاء منه الاسم الذي أصبح يعرف به هو وزملاؤه".

اختبأ **دي نيمور** خلال الثورة الفرنسية لفترة بسـبب الشـكوك في اتجاهاته التي وصـفت على أنها معادية للثورة، وقد هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام1802 .

إذا تم تركيزهـا على هؤلاء الثلاث من المفكرين الفزيوقراطيين فهـذا لا يعني إهمـال المفكرين الآخرين، وللإشارة فإن جميعهم يعتبرون من الأوائل من طالبوا بالحرية الإقتصادية وعدم تدخل الدولة في إطار نظام الملكية.

ثانيا :مبادئ ومنطلقات المذهب الفزيوقراطي:

يقوم المذهب الفزيوقراطي على مجموعة من الأفكار يمكن تلخيصها في:

1-الحرية الإقتصادية مستمدة من نظام الطبيعي:

اعتقد الطبيعيون أن الظواهر الإقتصـــادية مثلها مثل أي ظواهر طبيعية أو اجتماعية تخضـــع لقوانيين طبيعة بعيدة عن تدخل الإنســان في وضــعها أو إيجادها، واعتبروا النظام الطبيعي نظاما مثاليا يحقق بين المصـالح المختلفة في المجتمع، وهو مكون حسبهم من مجموعة الأنظمة التي بواسطتها يتحقق الرخاء والرّفاهية للأفراد ويساعد على تطوير الزراعة.

ويسـتند النظام الطبيعي إلى فكرة الملكية، مما يسـتوجب ضـرورة احترامها باعتبارها جزء من النظام الطبيعي وهي تشمل على :

أ -**الملكية الشـخصـية :** وتعني حق الفرد في استغلال وتوظيف ملكاته الذهنية والعضـلية والحصـول على مقابل إنتاجه، المعنى الحق في الحرية.

ب - **الملكية المنقولة :** وهي حق الأفراد في ملكية ثمرة جهودهم وعملهم.

ت - **الملكية العقارية :** تتعلق الملكية العقارية بملكية الأراضي الزراعية والفلاحية.

مما سبق يمكن استنتاج أن النظام الطبيعي مبني على أساس :

.1حق الأفراد في الملكية الخاصة وفي الحرية والعيش في أمان.

.2النشاط الزراعي أساس أية عملية إنتاجية.

2-الأرض مصدر القيمة : (مصدر الثروة)

يرى الفزيوقراطيون أن مصدر الثروة هي الأرض حيث يعتبرون أن الثروة تتمثل في "الأموال اللازمة للحياة ولتجدد الإنتاج الدوري لهذه الأموال".

فالثروة بهذا المفهوم معناها "المنتجات فيما يلزم منها لمعيشـة أفراد المجتمع وما يلزم فيها لضـمان استمرار الإنتاج في الفترات الإنتاجية المقبلة، هذه الثروة تنتج في مجال الإنتاج لا مجال التبادل".

ومما يعني أن الإنتاج عند الطبيعيين يتمثل في كل عمل يخلق ناتجا صافيا جديدًا وذلك بأن يضيف مقدار من السلع والمواد أكثر من تلك التي استخدمت في علبة الإنتاج .

ولتوضـيح أكثر فإن الناتج الصـافي يعني أن الثروة كلها تنشـأ في الزراعة بعيدة عن الصـناعة والتجارة أو حرفة أخرى، فالتجار لا يضيفون شيء كونهم يشترون ويبيعون السلعة نفسها ونفس الشيء ينطبق على الصناعة، فما هي إلا تحويل مادة من شكل إلى آخر لا تضيف شيء جديدًا.

هذا بالإضافة إلى أن الصناعة خاصة التحويلية كانت رهينة مصدرها الزراعي وكمية تواجد السلع الزراعية، فعلى سـبيل المثال من أجل زيادة عدد الإسـكافيين لابد أولا أن تكون هناك زيادة في عدد جلود الأبقار، فمن الزراعة تأتي كل زيادة في الثروة ولا تأتي من قطاعات العمل الأخرى.

وباختصار فإن "الزراعة هي مصدر كل ثروة الدولة وثروة كل المواطنين".

وأما بخصوص **عوامل الإنتاج فإن الفزيوقراطيين** يقسموها إلى ثلاث عوامل رئيسية:

.1**الأرض :** وهي أساس ومصدر الثروة.

.2**العمل :** وهو استغلال العامل لأرض التي تعطي إنتاج صافي.

.3**رؤوس الأموال :** يعتبر الفزيوقراطيون أن إنتاجية رأس المال لا تكون إلا على شـكل رؤوس أموال عقارية يستثمرها المنتجون.

ثالثا :الهيكل الطبقي الفيزيوقراطي:

يرتبط الهيكل الطبقي الفيزيوقراطيون ارتباطا وثيقًا بفكرة الناتج الصـافي الذي الفيزيوقراطيون هذا الهيكل مكونة من الطبقات التالية:

1-طبقة أصحاب الأرض أو الملاك : فهم اللذين يوجهون ويشـرفون على الإنتاج الزراعي، و إليهم كان يؤول الجانب الأساسي من الناتج الصافي، وعليهم كانت تقع المسؤوليات الاجتماعية والسياسية للجماعة وللدولة.

2-الطبقة المنتجة : وهي الطبقة التي يقوم أعضاؤها بممارسة العمل الزراعي بهذه الطبقة هي المسؤولة على خلق الناتج الصافي أساس أي نشاط زراعي.

3-طبقة التجار والحرفيون والصناعيون : وهي الطبقة الغير منتجة بمعنى أنها لا تخلق الناتج الصـافي ومن ثم لا تزيد في الثروة .

وبالتالي فإن هذا الهيكل الطبقي هو ما يفسر دفاع الفيزيوقراطيون عن الزراعة وسلطة أصحاب الأراضي.

رابعا: الجدول الإقتصادي ومبدأ دوران الثروة وتوزيع الدخل:

أ- نظرية الناتج الصافي:

أبعد الفيزيوقراطيون فكرة المعادن النفسية عكس التجاريون الذين اعتبروا أن مصدر القيمة يكمن فيما تملكه الدولة من هذه المعادن، فالنقود حسب الفيزيوقراطيون ليست إلا ثروة عقيمة فالثورة عندهم هي:

"مجموعة القيم التي يمكن استهلاكها عند الرغبة دون إفقار لمصدرها".

وبهذا فالنشاط الوحيد المنتج هو الزراعة وأن غير ذلك مجرد تحويل عقيم لصورة المادة وجميع أنواع النشاطات الأخرى الخارجة عن النشاط الز ا رعي عاجزة عن خلق وإعطاء قيمة جديدة، فالزراعة هي النشاط الوحيد الذي يمنح الإنسان أكثر مما يحصل عليه، بمعنى أنها النشاط الوحيد القادر على خلق الناتج الصافي والسبب في تمييز النشاط الزراعي عن غيره من صور الإنتاج هو:

"أن الزراعة هبة من الطبيعة ويؤدي تضافر جهد الإنسان مع عمل الطبيعة إلى نشوء قيمة جديدة لم تكن موجودة وهي الناتج الصافي".

ب-مبدأ دوران الثروة وتوزيع الدخل:

استخدم الطبيعيون الجدول الإقتصادي ليبينوا كيفية توزيع الناتج الصافي، عبر هذا الجدول، الذي قدمه **فرونسوا كينيه**، وكونه طبيب استطاع تشبيه الدوران وتوزيع الناتج الصافي داخل طبقات المجتمع بالدورة الدموية داخل جسم الإنسان، فوضع الجدول الإقتصادي على نموذج **الدورة الدموية** التي اكتشفها **هارفي** منذ القرن السابع عشر.

وعلى الرغم من أن الجدول الإقتصادي ليس بنظرية للتوزيع بالمفهوم المعاصر إلا أنه حاول تقديم تفسير لدورة الناتج الصافي بانتقال الدخول من طبقة إلى أخرى:

وقد قسم المجتمع إلى الطبقات التالية:

1-الطبقة المنتجة : وتشمل كل العمال الزراعيون الذين يقومون على خلق الناتج الصافي في المزارع.

2-طبقة ملاك الأراضـــي (الملاك العقاريين): هته الطبقة تحتل مكانًا وسـطًا بين طبقة المنتجين والطبقة العقيمة وبالرغم كم أن هذه الطبقة لم تكن منتجة إلى أن الفيزيوقراطيون رتبوا على دورهم أهمية خاصة.

3-الطبقة العقيمة : تشمل هذه الطبقة كل النشاطات الغير زراعية، مثل العاملون في التجارة والصناعة التي لا تضيف إلى الإنتاج الصافي شيء وبهذا وصفت بالعقيمة.

تتمثل وظيفة الجدول الإقتصادي في تبيان كيفية تداول الإنتاج الصافي بين الطبقات الثلاث ولتوضيح ذلك ضرب لنا فرونسوا كينيه أمثلة بسيطة لتبسيط عرض هذه الدورة وفق الافتراضات التالية:

*الزراعة تنتج ما قيمته 05 مليار فرنك.

*تحتفظ الطبقة الزراعية بـــــ 02 مليار لنفقاتهم الخاصة على المنتجات الزراعية وتسديد تكلفة الإنتاج الزراعي.

* 03 مليار فرنك المتبقية والتي تعتبر الريع الصافي فإن دورتها تتم على الوجه التالي :

01مليار فرنك ينفقه عمال المزارع لشراء منتجات من الطبقة العقيمة في صورة سلع صناعية وخدمات تجارية، كما يدفعون مبلغ 02 مليار فرنك لطبقة ملاك الأراضي مقابل كراء الأراضي للإنتاج.

***طبقة ملاك الأراضي:**

تقوم هذه الطبقة بتوزيع دخلها المقدر بـــــ 02 مليار فرنك التي تحصلت عليه من طبقة ملاك الأراضي وفق ما يلي:

-تنفق واحد مليار على شراء السلع الزراعية من المزارعيين.

-تنفق المليار المتبقي على شراء سلع صناعية من الطبقة العقيمة وبمجرد عملية حسابية بسيطة تكون

الطبقة العقيمة قد حصلت على 02 مليار (واحد مليار فرنك من الطبقة المنتجة وواحد مليار من طبقة ملاك الأراضي).

***الطبقة العقيمة:**

تقوم هذه الطبقة بتوزيع المداخيل المتحصل عليها والمقدرة بـــ 02 مليار على شراء ما يحتاجه من منتوجات زراعية.

وبذلك "يعود من جديد كل قيمة الإنتاج الز ا رعي إلى طبقة المنتجين وهكذا تتم الناتج الصافي بأن تعود إلى النقطة التي بدأت منها".

ولتوضيح ذلك نحاول رسم البياني التالي بناءًا على افتراضات كينيه.

ومن الناحية المهنية فإنه يمكن التأكيد على أن تحليل **فرونسوا كنيه** في بناء لنموذج تجدد الإنتاج تمثل فيما يلي:

- 1يوصف هذا النموذج للإنتاج بالبساطة، كون أن الناتج الإجمالي يبقى ثابت دون زيادة خلافًا للفترات الإنتاجية.

- 2اعتبار التحليل تحليلا جماعيا، إذ يشمل جميع العلاقات الإقتصادية بين وحدات كبيرة.

- 3التحليل يتم في صور عينية ونقدية في آن واحد.

- 4يتجاوز التحليل شكل الوصف وإنما تحليل تأصيلي يبحث في مصدر الناتج الاجتماعي والكيفية التي يتوزع بها.

خامسا :وظيفة الدولة في النشاط الإقتصادي.

الدعوة إلى تطبيق النظام الطبيعي يستوجب على الدولة الابتعاد النهائي وعدم التدخل في الحياة الإقتصادية، ولهذا حصر الفيزيوقراطيون وطبقة الدولة في الحياة الإقتصادية في دور الحارس على تطبيق قوانين الطبيعة وتجسيدها ليتسنى للمواطنين الحرية التامة في ممارسة نشاطهم الإقتصادي وهنا تكمن وظيفة الجيش والشرطة، أي حماية القانون الطبيعي والسهر على حرية المواطنين، كما أن للدولة حق المشاركة في إنهاء الثروة على المشاريع وإنشاء الاستثمارات القاعدية من أجل تسهيل الإنتاج الزراعي .

أما فيما يتعلق بالضرائب التي تفرضها الدولة، فإنه حسبهم (الفيزيوقراطيون) تفرض فقط على طبقة الملاك العقاريين دون سواها، بمعنى أن الدولة تعفي كل من الطبقة المنتجة والطبقة العقيمة من دفعها لأن الجزء الذي تتحصل عليه هذان الطبقتان هو من أجل استمرار معيشتها وتحديد عملية إنتاجها وللضريبة هدف أساسي هو:

"استعمالها في المحافظة على النظام الطبيعي والعمل على استقراره في نفس الوقت وذلك بتهيئة الظروف اللازمة لذلك"

سادسا :التجارة الخارجية لدى الفيزيوقراط:

طالب الفيزيوقراطيون بحرية تصدير الحبوب إلى الخارج، بهدف توسيع دائرة دوران الثورة لأن المنتوجات الزراعية تخلق ثورة عكس المبادلات الأخرى التي تحقق ربح وليس ثروة. أما بخصـــوص الرسوم الجمركية المفروضة على السلع التي تأتي من الخارج. فيؤكد الفيزيوقراطيون أنها تقع على كاهل المستورد في الداخل على خلاف الكثير اللذين يلزموها على المستورد الأجنبي ويرجعون السبب في أن البلدان الأجنبية لا تبيع إلا بنفس الأسـعار التي تقبل الدول الأخرى دفعها ومن ثم فإن الرسـوم الجمركية تضاف إلى السعر الحقيقي للسلعة .

أما فيما يتعلق بالميزان التجاري ومطالبة التجاريون بأن يكون رابح فإن الفيزيوقراطيون ينتقدون هذه الفكرة، ويعتبرون أن سياسـة تشـجيع الصـاد ا رت والحد من الواردات من أجل تدفق النقد من الدول الأخرى تؤدي إلى العجز البلد الأجنبي وبالتالي يتوقف التبادل التجاري والذي له أضرار إقتصادية .

سابعا :تقييم أفكار المدرسة الفيزيوقراطية:

بعد الاطلاع على الأفكار والمبادئ الأسـاسـية للمدرسـة الفيزيوقراطية يمكن الخروج بجملة من الملاحظات على هذه المدرسة:

- 1تعتبر أفكار المدرسـة الفيزيوقراطية أول من حرر علم الإقتصـاد من صـفة التبعية للدين والفلسفة ومن صفة التبعية للسياسة.

- 2الاهتمام بالقطاع الزراعي واعتباره القطاع الوحيد الذي يخلق الثورة بمعنى أنها أعطت أهمية للإنتاج وصححت مفهوم الثورة الذي لم يعد ينظر إليها بكميات النقود وإنما بكميات الإنتاج.

- 3أول من دعى إلى الحرية الفردية أول من أسس للمذهب الفردي.

- 4أول من أعطى فكرة عن دورة الإنتـاج الكلي وعن كيفيـة توزيعـه بين الطبقـات عبر بنـاء جـدول اقتصادي.

- 5اسـتعمال المنهج العلمي في طرح أفكارهم الإقتصـادية وتوظيفهم للمنهج التجريبي وخاصـة من قبل **فرونسوا كينية** الذي شبه دوران العملية الإنتاجية بدوران الدم في الجسم الإنسان .

- 6اعتبار الزراعة وحدها النشـاط المنتج، ألغى كل النشـاطات الأخرى في العملية الإنتاج مثل الصـناعة والتجارة، والتي تعد هي الأخرى منتجة كونها بخلق منافع وتزيدها ويترتب على ذلك عدم صحة نظريتهم في الضريبة الواحدة التي تفرض دخول المزارعيين.

- 7الاقتصار على نظام الضريبة الوحدة و على النشاط الزراعي وحده لا يحقق العدالة في توزيع الأعباء الضرورية على كل أنواع النشاط الإقتصادي هذا بالإضافة إلى أن الدولة لا يمكنها الاقتصار على ضريبة واحدة لتمويل كل النفقات المتزايدة باستمرار.

- 8الدعوة إلى تطبيق قوانين الطبيعة على اعتبار أن هذه القوانين هي من تحكم الظواهر الإقتصادية، أمر يخالف الواقع، لأن الظواهر الإقتصادية تتغير وتتطور على حسب القوانين التي تحكمها .

رسم مفصل للجدول الإقتصادي لفرنسوا كينيه

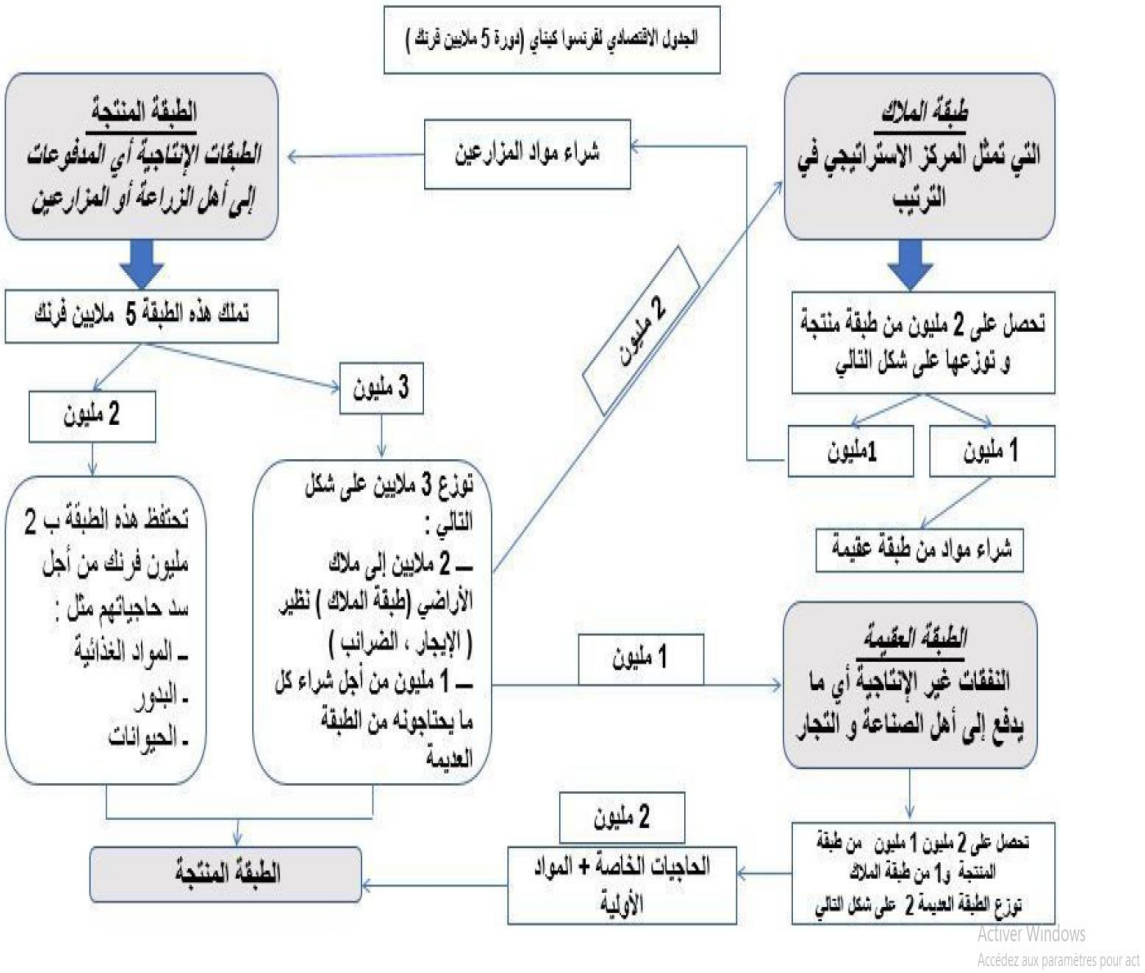

Activer Windows
Accédez aux paramètres pour act